

أزمة المتعطلين وكيف تعالج

بقلم الأستاذ س . م

أثار حضرة صاحب السعادة حافظ رمضان باشا وزير الشؤون الاجتماعية السابق في عدد ماض من هذه المجلة ما سوف نواجهه من مشكلات العمل وتطوراتها . وسنحاول أن نعالج هنا مشكلة التعطل في نواحيها المختلفة زراعية وصناعية وبين المتعلمين وبين الأميين .

فإن الذين يعانون مشكلة التعطل يحصرون بحتمهم في تعطل العمال في المدن أو في تعطل المتعلمين . وقلمنا يذكر أن التعطل بين الفلاحين في الريف مع أن لدينا من الأعراض ما يدل عليه . ذلك أن القاهرة والاسكندرية بل بعض المدن الكبرى في الوجه البحري تكتظ بكثير من عمال الريف في الصيف . وهم يتسكعون في الشوارع يبيعون التوافه والتوافل مما يجعلهم في حكم المتعطلين . وهجرة الريفيين إلى المدن شائعة بل هي مشكلة واضحة كثيرا ما ذكرها الكتاب ولكنهم لم يردوها إلى أسبابها الحقيقية وهي أن الأعمال الزراعية لا تكفي العمال .

والأسباب لذلك كثيرة وهي أن الأرض الزراعية محدودة المساحة والريغ . بل في كثير من الأحيان قد نقص الريغ عما كان عليه قبل ثلاثين سنة لانحطاط التربة من وفرة المياه الزائجة . وهذه الزيادة في السكان تضطر إلى الهجرة في المدن حيث يأمل الريفيون الحصول على العيش .

ولكن الزيادة في السكان وحدها ليست أهم الأسباب . بل كان يمكن أن يستوعب الريف هذه الزيادة لو أن الزرامة كانت قد تطورت نحو الصناعات الزراعية العصرية التي ما زلنا نجعل منها الشيء الكثير . وهناك سبب آخر خطير للتعطل في الريف هو نفشي الآلات الزراعية البخارية والموتيرية والكهربائية في الانتاج الزراعي . ذلك أن "الدوائر" الكبيرة تقتني هذه الآلات للحراث والري والحصاد بل حتى للطحن . وبدلا من استعمال المحراث البلدي الذي لا يحترق أكثر من فدان في اليوم صارت المحارث التي تدار بالقوة تحترق عشرين أو ثلاثين فدانا في اليوم . فانظر في هذا الاختلال الخفي للاقتصاديات الزراعية وتأمل أثره في التعطل في الريف ! فإن ثلاثين فدانا تحرقها آلة لا تحتاج إلا إلى عامل واحد أو عاملين على الأكثر . و كان المحراث البلدي يحتاج إلى ثلاثين عاملا . ثم هناك المساشية التي استغنى عنها . فانها كانت تحتاج إلى من يتعهدا بالخدمة وإلى طلف تنبت الأرض يحتاج إلى عمال أيضا . فقام مقام ذلك كله البترول والبتريز والفحم ، وهي مما لا يربح الفلاح منها شيئا لمعاشه .

وهذه الآلات تعمل في الحرق والرى والحصاد والتلحين والتقل ، وكانت كل هذه الأعمال قبل ثلاثين سنة تحرى بالمشاية التي تحتاج إلى عدد كبير من الهمال الريفيين . ثم انظر إلى الأتومبيل الذي جعل الجمال والحول في ريفنا نادرة بل . لغاة . فإنه أيضا قد أحدث تعطلا لأن الجمال والفرس يحتاجان إلى العنف وإلى من يتعهدهما بالعناية ويسير وراءهما في السبابة . ولكن الأتومبيل أنقذ كل ذلك . وهناك من خبراء الزراعة من كان ينهى عني المزارعين المصريين تغييرهم للدورة الزراعية أي بدلا من زراعة التلت قطعا صار هؤلاء المزارعون يزرعون القطن في النصف أو أكثر من أرضهم . والذين يقولون هذا القول يعملون هذا التغيير بحشع المزارعين ورغبتهم في الحصول على أثمان القطن . ولكنهم نسوا ما كان من أثر الأتومبيل في النقل وأن زراعة البرسيم والقمح والذول قد أصبحت قليلة القيمة إذ ليست هناك ماشية تحتاج إلى العنف . فهذا التغيير الذي طرأ على لدورة الزراعية إنما يرجع إلى أثر الآلات الزراعية التي تدار بالقوة وإلى الأتومبيل . كما أن التعلل الناشئ في الريف وهجرة الريفيين إلى المدن يرجعان أيضا إلى هذا السبب .

والأهم الزراعية تمتاز بالاستقرار على مستوى منخفض من الاقتصاد الأهل . كما أن الأمم الصناعية تمتاز بالثراء العظيم ولكن مع تشنجات اقتصادية دورية . ولكن إذا نحن عمدنا إلى الوسط الزراعى وأفسدنا اقتصادياته فإننا يجب أن نتظر فيه تزعزعا تختف مظاهره من هجرة عماله إلى المدن إلى تفشى الجرائم إلى فلك الجوع . وهذا هو ما نعانى الآن في ريفنا . لأن الآلات البخارية والموطرية والكهربائية قد أفسدت اقتصادياته ، لأن كثيرا من الفلاحين في الدوائر الكبيرة يعيشون على حافة القحط ولا يعملون في السنة كلها سوى أشهر قليلة . فلما أن يضع قيودا وحدودا لاستخدام لآلات الكبيرة كما فعلت هنغاريا وغيرها من الأقطار الزراعية ولما أن تسارع إلى تخفيف البحيرات في شمال الدلتا واستصلاحها لكي يجد المتعطلون من الريفيين عملا جديدا فيها .

وتعطل الريفيين عندنا أخطر وأفدح وأكثر تفشيا من تعطل الهمال في المدن . ولكنه لا يجد الإعلان والانتباه اللذين يحدما تعطل سكان المدن . والأسباب لهذه الحال لا تحتاج إلى شرح . والمصانع في المدن تجد من الحماية الجمركية ما يجعلها دائمة العمل لأن الجمهور يستهلك ما تنتجه ، ولذلك فالتعطل قليل ، ومشكلات العمل في مصر الصناعية ليست خاصة بشأن التعطل وإنما هي تتعلق بساعات العمل وأجوره .

ولكن هناك تعطلا آخر هو تعطل المتعلمين . فإن مدارسنا كانت مدة الرقابة البريطانية تعنى بتخريج الموظفين ولا تكاد تفكر في تعليم شبابنا المبادئ أو المواد التي يحتاجون إليها للعمل الحر خارج الوظائف الحكومية . ونشأ من اتباع هذه الخطة أن تخرج عدد كبير جدا من

الشبان الحائرين الذين يحملون شهاداتهم لثقافية ولا يعرفون كيف يكسبون . ولا علاج لهذه الحال السيئة إلا إصلاح النظم المدرسية وتغيير المواد التعليمية بحيث تعد الشبان للعمل الحر ، أو بإنشاء مدارس خاصة للمهن الحرة .

والشعور العام أن المصانع والمتاجر الأجنبية لا تستخدم الشبان المصريين بل تؤثر عليهم أبناء الجاليات الأجنبية . وأنه يجب أن تسن قوانين ، كذلك التي في تركيا ، تحتم على المتجر أو المصنع استخدام عدد مئوى من المصريين . وليس شك في صدق هذا الشعور نحو هذه المصانع أو المتاجر . ولكن يجب ألا نوجه اللوم إليها وحدها . فإن الشاب المصرى لم يعد الإعداد الكافى لتولى الأعمال الحرة . وإن كان هو الآن في هذه الطريق . ولكننا حين نسمع أن بنك مصر يستخدم وحده نحو ٦٥٠ موظفا مصرى لا نتمالك من الشعور بأنه لو كانت المتاجر والمصانع كلها مصرى لوجد شبابنا ميدانا واسعا لا يحده في الوقت الحاضر . وهذا يجب أن يشجعنا على التوسع الصناعى . كما أن إيجاد نظام تأمينى بسيط القواعد قليل التكاليف يكفل لنا المستقبل القريب تخطى 'أزمات الصغيرة المتظرة' ويكون للمستقبل البعيد بذرة لمعالجة 'الأزمات الخطيرة للبطالة' . على أن مثل هذا النظام لا يمكن أن ينشأ إلا على قاعدة الثقافة .

وفي السنوات الأخيرة قام التنظيم الحربى بالحديد باستيعاب عدد كبير من الشبان الريفيين والمدنيين . فكان لهذا أثره في تخفيف أزمة التعمل . وسوف يكون نمو الجيش عاملا خطيرا من عوامل هذا التخفيف في جملة سنوات قادمة وخاصة عندما تنشأ مصانع للذخائر والأسلحة . لأن هذه المصانع سوف تستوعب عددا كبيرا آخر من العمال .

ولكن إذا كنا لا نتوقع في الوقت الحاضر أن تفتح أزمة التعمل لأن نمو الجيش المصرى يستوعب عدد كبير من الشباب فإننا يجب أن نحسب لنمو السكان كل حساب . فإن الأرض المزروعة ، كما قلنا ، محدودة . فلا بد من أن نثمر وننشط في استصلاح الأرض في شمال الدلتا وشرقها وغربها من الأرض البور . كما لا بد أن ندرس موضوع الآلات الكبيرة التى تتفشى في الدوائر الكبيرة وتؤثر حتى في المزارع الصغيرة . وفي الوقت نفسه نخفف القيود والشروط التى تؤثر الرقى الصناعى في المدن . حتى تستوعب الصناعات الجديدة في المدينة ما يفرض من العمل العاقل في الريف .

س . م